جيش نابليون ، وهي هزيمة ادت الى ظهور حزب الوطنيين الذي تشكل اساسيا من طبقة التجار وانتهى بعد كثير من الاضطرابات الى ترسيخ هذه الديمقراطية عام ١٨٦٨ ضد ارادة الملك والاقطاعيين .
وفي ايطاليا كانت الديمقراطية الليبرالية نتيجة رد ثوري على هزيمة خارجية أمام الغزو النابليوني . وهكذا دواليك !..
وفي اميركا اللاتينية نجد مثلا ان النكبة التي اصابت بوليفيا في حربها مع البارجواي بين عام ١٩٣٢ وعام ١٩٣٥ ادت الى نتائج سياسية واجتماعيـة ثورية لم تكن في حسبان الطبقة الاقطاعية الحاكمة آنذاك . بما أن الحكومة كانت تحتاج في هذه الحرب الى جميع القوى البشرية المتوفرة ، فانها اخذت في تجنيد جماهير الفلاحين التي كانت منذ الفتح الاسباني مستثناة من الحياة السياسيـة وتعيش خارجها . هذا التجنيـد جعل هذه الجماهير تشعر لأول مرة بأنها جزء من المجتمع ، خاصة وان الطبقات الحاكمة كانت تعمل اثناء الحرب على ايقاظ الشعور القومي الذي كانت تحتاجه . الهزيمة نزعت من هذه الطبقات هيبة السلطة وشرعيتها وادت الى تمرد الجماهير عليها ، والى دخولها في حركات اشتراكية وليبرالية ثورية غايتها تغيير قواعد النظام السياسي الاجتماعي . هذا التحول ادى في النهاية ، عبر اضطرابات وثورات متتابعة الى ثورة اجتماعية كان مـن نتائجها تأميم البترول والصناعات المعدنية الاساسية ، وتوزيع الارض على الفلاحين .
وفي كوبا ، كانت الثورة الاخيرة بقيادة كاسترو الرد الثوري على غزو الامبريالية الاميركية البلاد وتواطؤ الطبقات الحاكمة معها .
الشيوعيون في الصين ، يوغسلافيا ، البانيا ، البلقان ، وفيتنام ، استلموا السلطة بعد حروب ثورية ضد محتل اصاب البلاد بالهزيمة . ففي كل من هذه البلدان ، نجد أن هناك محتلا وحربا ثورية ، وان الاحتلال والحرب قادا الى افلاس ونهـاية سلطة الطبقات التقليدية الحاكمة .
الاثر الاول للازمة الاقتصادية التي اصابت الولايات المتحدة في أوائل الثلاثينات لم يكن اقتصاديا فقط بل نفسيا . فقد هدمت تلك الازمة وجاهة الطبقة الحاكمة التقليدية ، التي كانت تسود دون مقاومة او تحد منذ الحرب الاهلية . فالسلطة الاقتصادية نكبت نكبة هزتها من الاساس ، والشعب خسر ثقته القديمة بها . اصحاب البنوك والاعمال الكبيرة انفسهم خسروا آنذاك الايمان بقدرهم الخاص .
من ناحية اخرى يمكن القول أن التجارب التاريخية تدل ايضا ان المجتمعات والطبقات والاحزاب تخسر وحدتها عندما لا تجد عدوا يناصبهـا العداء والصراع . كثيرون مـن المؤرخين دلوا مثلا على هذه الناحيـة في دراستهم للحركة البروتستانتية ، التي تعني الرفض والتمرد . فقد قيل انها كانت تخسر « وحدتها » و« حيويتها » عندما لا تجد أمامها عدوا تمارس الرفض والتمرد ضده ، وأن هذه الوحدة كانت تنحسر الى درجة تدفع الى ظهور نفس الصراع مع العدو في اطار تركيبها ذاته ، اذ كانت تنقسم آنذاك الى جناحين متخاصمين متقاتلين ، الجناح الليبرالي ، والجناح المحافظ .
تاريخ الاحزاب السياسية يوفر لنا مثلا آخر على هذه الناحية . ففي الولايات المتحدة مثلا نرى انه عندما كان ينتصر أحد الحزبين الكبيرين انتصارا نهائيا على الحزب الآخر ، فان وحدة الحزب المنتصر كانت تتلاشى ، فيتبدد الحزب الى جماعات مختلفة متخاصمة .
وحدة الكنيسة الكاثوليكية كانت تجد دائما مـا يقوي ويوطد وحدتها في « البدعات » و« الهرطقات » التي كانت تخرج عليها وتخاصمها . فموقفهـا العنيد الصلب الذي لا يتعرف على أية مصالحة او تسوية مع هذه البدعات والهرطقـات ، كان يدفع مختلف عناصر الكنيسة الى الاتجاه في وجهة واحدة ، رغم ما قد يكون بين هذه العنـاصر من اختلاف او مصالح متباينة .
الانتصار التام على العـدو لا يؤدي اذن الى نتائج ايجابية في المعنى السوسيولوجي